جمهورية مصر العربية	٢٤ من ربيع أول ١٤٣٨هـ
وزارة الأوقاف	٢٣ من ديسمبر٢٠١٦م

(١)

ابدأ بنفسك:

" المبادأة والمبادرة نحو القيم والأخلاق وخدمة المجتمع"

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، **وبعد:**

فمن مظاهر عظمة الدين الإسلامي أنه دين يجمع بين القيم الفاضلة والمُثُل العالية ، فلم يترك فضيلة من الفضائل ولا قيمة من القيم تسمو بها النفوس إلا دعا إليها وحثَّ على التمسك بها ، وما ترك خلقًا ذميمًا إلا نهى عنه وحذَّر منه.

وقد أمر الله تعالى عباده بالمبادرة إلى التحلي بالقيم النبيلة والأخلاق الحميدة والمسارعة إليها حتى توصلهم إلى مغفرته ورضوانه، قال سبحانه:{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، وقال عز وجل:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}، وقال تعالى:{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

كما حثَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على المبادرة إلى الطاعات وفعل الخيرات ، بقوله : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ؛ تُرْزَقُوا وَتُنْصَرُوا وَتُجْبَرُوا)، وقوله: (بَادِرُوا بِالأعْمَال فتنًا

كقطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤمِنا ويُصبحُ كَافِرًا ، يَبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا)، وقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ : (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)، فالمسلم الحق حريص على المسارعة إلى فعل الخير ولا يؤجله فإنه لا يدري ماذا سيحدث غدًا ، ولله در القائل:

بَادِرْ بِخَيْرٍ إذا ما كُنْتَ مُقْتَدِرَا *** فَلَيْسَ في كُلِّ وَقْتٍ أَنْتَ مُقْتَدِرُ

ولا شك أن المبادرة إلى التمسك بالقيم الخُلُقية والإنسانية واجب ديني ، ومطلب شرعي ، ومبدأ أصيل من مبادئ الإسلام ، وسمة من سمات الصالحين ، وأساس من أسس التقدم والرخاء واستقرار الحياة.

ولقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) أعظم الأمثلة في المبادأة والمبادرة بالأخلاق والأعمال الصالحة، فعَنْ عُقْبَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِالْمَدِينَةِ العَصْرَ ، فَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ : (ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ).

ولما سُئل (صلى الله عليه وسلم) أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ أكد أن عِظم الأجر يكون بسبب المبادرة والمسارعة إلى فعلها وعدم تأجيلها ، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم):(أَنْ تَصَّدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ ، وَتَأْمُلُ الغِنَى، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ ، قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ).

فالإنسان لا بد وأن يبادر إلى التحلي بحسن الخلق ، ويبدأ بنفسه في تطبيق منهج الله (عز وجل) وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، وهذه المبادأة والمبادرة

لها عدة مجالات متنوعة ،كي تؤتي ثمارها المرجوة ، ومنها:

* **مبادرة الإنسان إلى القيم الأخلاقية**: فهي لبُّ الدين وجوهر رسالته التي دعا إليها ورغَّب فيها وحثَّ على التخلق بها ، لما لها من مكانة رفيعة ومنزلة عالية، فقد سئل (صلى الله عليه وسلم) ما الدين؟ قال: (حسن الخلق). ووصف عَبْد اللَّهِ بْن المُبَارَكِ حُسْنَ الخُلُقِ فَقَالَ: (هُوَ بَسْطُ الوَجْهِ، وَبَذْلُ المَعْرُوفِ، وَكَفُّ الأَذَى)، ولقد أولاها النبي (صلى الله عليه وسلم) عناية فائقة، حيث أعلن أنها الغاية الأولى من بعثته ورسالته ، فقال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأَخْلاقِ) ، وكان (صلى الله عليه وسلم) مثلاً أعلى في التخلق بالقيم الأخلاقية السامية التي تدل على صفاء النفس وكمال العقل، لذا وصفه ربه بقوله:{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، فاجتمعت فيه الفضائلُ كلُّها، وهذا ما أكدته أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ (رضي الله عنها) حين سئلت عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَتْ: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ).

وقد جاءت آيات القرآن الكريم تُرغِّب في التحلي بالقيم الأخلاقية ، وما ذلك إلا لأن الأخلاق ميزان شرعي يهذِّب الإنسان ، ويرقى به إلى مدارج الكمال ، ومن ذلك قوله سبحانه لرسوله (صلى الله عليه وسلم):{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}، وقوله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}، وقوله عز وجل : {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْـوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاس وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

* **ومن مجالات المبادأة والمبادرة: المبادرة إلى القيم الإنسانية** التي تحافظ على كرامة النفس الإنسانية واحترامها ، ولاشك أن ديننا الحنيف مفعم بالقيم الإنسانية سواء في أخلاقه أم في تشريعاته، فعندما كرم الإسلام الإنسان كرَّمه على أخلاقه

الإنسانية بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو عرقه، فقال سبحانه:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}، لم يقل: كرمنا المسلمين وحدهم، أو المؤمنين وحدهم ، أو الموحدين وحدهم ، وكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى).

وعندما تحدث القرآن الكريم عن خيرية هذه الأمة ربطها بالقيم الإنسانية ، فخير الناس أنفعهم للناس ، قال سبحانه :{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم}، وحين سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) : أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله (عز وجل)؟ قال: (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دينًا ، أَوْ تطْرد عَنْهُ جُوعًا ، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا...).

والقيم الإنسانية في الإسلام متعددة شاملة ، فلا فرق بين المسلم وغيره ، فالكل تجمعهم الأخوة الإنسانية ، فحين مرت جنازة من أمام النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قام (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لها، فقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ ، قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟).

وقد ربَّى النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) أصحابَه على هذه القيم السامية حين سألهم: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟). قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه): أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟). قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضى الله عنه): أَنَا. قَالَ : (فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ

الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟). قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه): أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه): أَنَا. فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ).

ومن تأمل في خطبة الوداع وجد أنها أكمل أُنموذج في التاريخ البشري لنشر القيم الإنسانية ، فهي تعد أول وثيقة لحقوق الإنسان بغض النظر عن دينه أو معتقده أو لونه أو جنسه، وتأتي على رأس القيم الواردة بها قيمة المحافظة على النفس الإنسانية وحرمة دمها ، وهذا ما أكده النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ) ، فالإسلام لا يرضى- بأي حال من الأحوال – بسفك الدماء ، بل يُحرِّم قتل النفس البشرية بغير حق.

* **ومن مجالات المبادأة والمبادرة**: **مبادرة الإنسان إلى البناء والتعمير** ، فالإسلام دين يُقَدِّس البناء والتعمير ويدعو إليهما حتى في وقت الشدة، لأنهما عصب الحياة ومن أهم سبل تقدم الأمم والمجتمعات، ولم تعرف البشرية دينا ولا شريعة أمرت أتباعها بالعمل الجاد المثمر كشريعة الإسلام ، فقد أمر الله (عز وجل) الإنسان بضرورة السعي في الأرض والبحث عن الرزق والأخذ بالأسباب، وعدم الركون إلى الخمول والكسل من أجل تحقيق قيم البناء والتعمير ، قال سبحانه: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}، ولا يتوقف السعي والعمل على وقت معين، بل لا بد وأن يسعى الإنسان حتى آخر نَفَسٍ في حياته، وإلى ذلك أشار الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بقوله : (إِنْ قَامَتِ السَّاعةُ وَفِي يَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ فَإِنْ استَطاعَ أَنْ لَا

تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَلْيَغرِسْهَا).

ولم يكتف الإسلام بمجرد دعوة أصحابه إلى العمل فحسب، بل دعاهم لإتقانه وإحسانه رجاء محبة الله تعالى ورحمته، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنّ اللهَ – عز وجل– يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) ، فالإنسان الذي يسعى لتحقيق عمارة الكون هو إنسان إيجابي، لا يقبل أن يكون عالة على غيره يسألهم فيعطوه أو يمنعوه ، فالمسلم لا بد أن يكون إيجابيًّا في حياته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين. **إخوة الإسلام** :

* **من مجالات المباداة والمبادرة: مبادرة الإنسان إلى خدمة المجتمع** بالتكاتف والتعاون ، لقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ)، ولكي تتحقق هذه القيم لابد وأن يتحلى كل أبناء المجتمع بروح الجسد الواحد وخاصة في وقت الأزمات، وليبدأ كل منا بنفسه، مع ضرورة القيام بدوره المطلوب منه تجاه مجتمعه.

وإذا أردنا نماذج عملية للمبادرة الأخلاقية والإنسانية والسلوكيات الراقية التي لها أكبر الأثر في النهوض بالمجتمع والوطن، **فلنبدأ بقيمة النظافة** :

فالنّظافةُ سُلوكٌ إِسْلاَمِيٌّ إِنْسانِيٌّ مُتَحَضّرٌ يَعْكِسُ رُقِيَّ الأفْرَادِ وحَضَارةَ المُجْتمَعَاتِ، فَعَلىَ كُلٍّ منَّا أنْ يَعْمَلَ عَلَى نَظَافَةِ جَسَدِهِ ، وثَوبِهِ، ومكانِهِ ، ومحلِّ عمَلِهِ ، وأن يُسْهِمَ

قَدْرَ استِطَاعَتِهِ في نَظَافَةِ مجْتَمَعِهِ، حتى نَكُونَ مُجتَمَعًا راقِيًا نَظِيفًا مُتَحَضِّرًا، يُتَرجِمُ إيمَانَهُ بدِينِهِ وقِيَمِهِ إلى سُلوكٍ عَمَلِيٍّ وواقِعِيٍّ ، يقول نبيُنَا (صلى الله عليه وسلم) : (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ).

وكذلك قيمة النظام، فهي قيمةٌ إنسانيةٌ وضرورةٌ اجتماعيةٌ تحرص عليها المجتمعات والأمم الراقية، ومن ثمَّ يجب الالتزام بها والمحافظة عليها ، وأن لا يتخطى كل إنسان دوره ، وأن يكون أسوةً طيبةً لمن حوله، فاحترام الإنسان لدوره هو احترام للنفس وللغير .

وكذلك الالتزام بحق الطريق من حيث إماطة الأذى عنه ، واحترام إشارات المرور ، والالتزام بالسرعة المقررة على الطرق وسائر ضوابط السير والمرور ، فإذا بدأ كل إنسان بنفسه ملتزمًا بتلك القواعد كان قدوة طيبة لغيره ، ومن ثمَّ ينصلح حال المجتمع ، فالقيم الخُلُقية هي التي تعصم المجتمعات من الانحلال، وتصونها من الفوضى والضياع ، فسلامة الأمة وقوة بنيانها ، وسمو مكانتها وعزة أبنائها بتمسكها بالقيم الأخلاقية والمبادرة إليها.

فما أحوجنا إلى استعادة وترسيخ هذه القيم التي دعا إليها ديننا الحنيف لنحقق بصدق خيرية هذه الأمة كما أرادها الله (عز وجل)، فنستحق بها رحمته سبحانه، وأن نغير الصورة القاتمة التي رسمها المنتسبون إلى الإسلام الحنيف زورًا ، وهو منها براء.

ولنعلم جميعًا أن المبادرة نحو القيم والأخلاق لها ثواب عظيم ، دائم لا ينقطع لا يعلمه إلا الله (عزّ وجلّ)، قال تعالى:{وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

اللهمّ أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.